الكتاب المدرسيّ: وظائفه وآليات صناعته وطرائق تقييمه.

Textbook: Functions, mechanisms of manufacturing and methods of evaluation.

د. كمال بن جعفر
قسم اللّغة العربيّة وآدابها – جامعة البليدة2(الجزائر)
Kmellinguisy@yahoo.com

الملخص باللّغة العربيّة:

يحتل الكتاب المدرسيّ مكانة محوريّة وهامة في المنظومة التّربويّة التّعليميّة، لأنّه يمثّل مصدرًا تعليميًّا هامًا، إذ يعدُّ الكتاب التّعليميّ ترجمة صادقة للمنهاج التّربويّ، الذي ينطلق من فلسفة التّربيّة والتّعليم والأهداف التّربوية الكبرى في المجتمع، ويوفّر أعلى مستوى من الخبرات التّعلّميّة الموجّهة لتحقيق الأهداف التّعليميّة التي ينشدها قطاع التّربيّة والتّعليم.

ورغم انتشار الوسائل التّعليميّة بأشكالها المختلفة "الورقيّة والرّقميّة"، وتطورها عبر الحقب والأزمنة، إلا أنّ الكتاب المدرسيّ سيظلُّ الأكثر استعمالاً كوسيلةٍ تعليميّةٍ من جهة، والأكثر شيوعًا في حفظ ونقل المعارف والمفاهيم والمهارات من جهة ثانية، وقد يعود ذلك إلى أنّه أيسر المصادر التّعليميّة التّعلّميّة التي تتوفّر لدى قطبي العمليّة التّعليميّة "المعلّم والمتعلّم" في بيئتهما العامة والخاصة، بسبب عوامل متشابكة ذات جذور تاريخيّة وثقافيّة واقتصاديّة واجتماعيّة ونفسيّة وتربويّة. **وعليه تروم هذه الدّراسة للإجابة عن التّساؤلات الآتية:**

ما طبيعة الكتاب المدرسيّ؟ وما علاقته بالمنهاج التّعليميّ؟ وفيما تتمثل وظائفه واستخداماته في التّربيّة المدرسيّة؟ وما هي الآليات والمعايير والشّروط الواجب اعتمادها في صناعة الكتاب المدرسيّ وإخراجه وهندسته؟ وما هي أهم الطّرق العلميّة المعتمدة في تقييمه؟

الكلمات المفتاحيّة: الكتاب المدرسيّ، المنهاج التّعليميّ، صناعة وهندسة الكتاب المدرسيّ، تقييم الكتاب المدرسيّ.

Abstract:

The textbook holds a central and important position in the educational and teaching system, because it represents an important educational resource. Indeed, the educational textbook is considered as a true reflection of the educational curriculum, which is based on the philosophy of education and the great educational goals in the society. Furthermore, it provides the highest level of learning experiences aimed at achieving the educational goals sought by the sector of education and teaching.

Despite the spread of teaching means in various forms, paper and digital, and their development through ages, the textbook is still considered as the most used teaching tool, on one hand, and the most common in the preservation and transfer of knowledge, concepts and skills, on the other hand. This may be explained by the fact that it is the easiest source of teaching and learning that is present in both poles of the teaching process; i.e.: teacher and learner, in their respective public and private environments. This is also due to interrelated factors with historical, cultural, economic, social, psychological and educational backgrounds.

Therefore, this study aims to answer the following questions: What is the nature of the textbook? What is its relationship with the curriculum? What are its functions and uses in school education? What are the mechanisms, standards and conditions to be adopted in the textbook's manufacture, production and design? What are the most important scientific methods adopted in its evaluation?

Keywords: *Textbook - Curriculum – Textbook manufacture and design - Evaluation of textbook.*

أولاً: الكتاب المدرسي كوسيلة تعليمية:

لقد ورد في القاموس "**Le Petit Robert**" بأنّ: «الكتاب المدرسي مؤلف تعلّيمي يقدِّم بشكل عملي المعارف التي يفرضها المنهاج الدّراسي على وجه الخصوص، والمفاهيم الأساسية لعلم من العلوم»[1].

وعليه فالكتاب المدرسي هو وسيلة مطبوعة مهيكلة لتسهيل المعلومات[2]، ووثيقة تربويّة مكتوبة لعمليات التّعلم والتّعليم منتجا مع المدرسة والمعلّم والمتعلّمين والخدمات المساعدة والكوادر الإدارية[3].

وعليه فالكتاب المدرسي هو سند بيداغوجي للمتعلّم أولا وللمعلّم ثانيا، وهو نوع خاص من الكتب، لأنّه موجّه إلى جمهور معيّن، ويتضمن المواضيع المقرّرة في البرنامج الدّراسي الخاص بكل مادة تعليميّة، وبكلّ مستوى تعليمي، وذلك وفق بناء تعليميّ – تعلميّ منظّم باعتباره يضمّ بين دفّتيه معلومات وشروح وتعاليق وتمارين تطبيقيّة وملخصات و...، ويعود تاريخ استعمال الكتاب المدرسي لأول مرّة إلى القرن السابع عشر للميلاد على يد "**كومنيو –Comenius**" "**1592-1670**" وذلك بنشره لكتاب "**باب اللّغات**

المفتوح"، وهو موجّه بالدّرجة الأولى للمعلّم والمتعلّم على حدّ سواء، يحتوى هذا الأخير على صور توضيحيّة وكان فعلاً "بابًا بيداغوجيًا مفتوحًا"، جعل المربّين من بعده يلجون عالم الكتب المدرسيّة ويطوّرونه وفق المستجدّات التّربوية والعلميّة والمطبعيّة شكلا ومضمونًا، وفي ثلاثينيات القرن التاسع عشر صدر قانون "**Guizot**" الذي يقرّ بحرّية استخدام الكتاب المدرسي تحت إشراف مفتشي المدارس شريطة أن يكون مطابقًا لمحتوى البرامج الدّراسية، فصار الكتاب المدرسي متنوعًا ومتعدّدا مما جعل " **Ju les Rerry**" سنة "**1876**" يصدر قانونًا يسند بموجبه إلى المفتّشين والمديرين وتحت وصاية وزارة التّربية صلاحيات تحديد نوع الكتاب المقرر لكل مستوى من المستويات الدراسيّة، وعلى الرّغم من التّطورات التي شهدها عالم الكتاب المدرسي اليوم وتنوّع وسائط حمله "أقراص مضغوطة، سمعية بصرية..."، إلاّ أنّ الكتاب المحمول على الورق لازال الوسيلة التّعليمية التّربوية الأولى دون منازع[4].

والجدير بالذكر هو أن الكتاب المدرسي هو كتاب منهجي "**Curriculum –textbook**" أو كتاب مقرر "**Required textbook**" ومهما يكن المسمى فإنّه يبقى من حيث المبدأ وثيقة تربويّة مكتوبة غالبا يستخدمها المعلّم والمتعلّمون في التّعليم والتّدريس لتحصيل الأهداف المنهجيّة المطلوبة، كما يأتي الكتاب المدرسي حسب تبنيه من الجهات الرسميّة في التّربيّة المدرسيّة لتمثيل المنهاج الرّسمي أو كترجمة له أو كبديل عنه[5].

ثانيا: طبيعة الكتاب المدرسي ووظائفه واستخدامه في التّربية المدرسيّة.

إذا كان الكتاب المدرسيّ سند للمسار التّعليمي التّعلّميّ فإنّه ينبغي أن يكون موافقًا للمنهاج الدّراسي، خاصة ما يتعلّق بالأهداف والمضامين ومنهجية تعليم كل مادة دراسيّة، ويختص عادة الكتاب المدرسيّ بمادّة دراسيّة واحدة، ونجد في بعض الحالات أن مخطّط الكتاب مبني على أهداف المنهاج وتعليماته إلاّ أنّ عناوين الفصول لا توافق إلا بالضّرورة مضامين المادة التعليميّة كما تبدو في المنهاج، وذلك قصد تقديم كم من المعلومات والشّروح والتّعاليق الضّرورية للتّعمّق في المادة الدّراسية[6].

كما أنّ الكتاب المدرسي يعتبر أحد الرّوافد المهمّة والمساعدة لعمليّة التّعليم وأهدافه العامّة، وللكتاب المدرسيّ أهميّة حيويّة فهو من أقوى الوسائل في تشكيل عقليّة المتعلّم وتحقيق المفاهيم الصّحيحة، إذ هو وسيلة مثلى في مساعدة المتعلّم وتكوين قدراته وتنمية مواهبه وزيادة معارفه وتزويده بالوعي وحسن السّلوك وإكسابه المعارف والمهارات

المختلفة وتنمية الاتّجاهات السّلوكيّة البنّاءة، وهذه الأهميّة للكتاب المدرسي تجعل المرء يولي ذلك عناية متزايدة وبالتأنيّ والتّدقيق كثيرًا في اختيار الكتاب الصالح والمناسب شكلا ومحتوى لأنّه أداة مهمة في العمليّة التّعليمية، فينبغي تقويمه بطريقة علميّة وتربويّة من فاحصين على درجة عالية من الكفاءة والقدرة والتّخصص والخبرة الميدانية، ويمكننا تلخيص أهم الوظائف والخدمات التي يقدّمها الكتاب المدرسيّ فيما يلي:

- يتضمن الكتاب المدرسي تنظيمًا للمادة الدّراسية يستهدف به المعلم من إعداد درسه وتنظيمه ولا يشترط التّقيد الحرفي بنصوص الكتاب المدرسي فالمعلّم الناجح ما توسع في تنظيم مادة الكتاب المدرسي ومعلوماته في توصيلها للمتعلّمين وحسب نضجهم العقلي والانفعالي والنفسي والحركي.

- على الرّغم من أنّ وظيفة الكتاب المدرسي هي إيصال المعلومات للمتعلّمين إلاّ أنّه يجب أن يتضمّن توجيهًا بضرورة الرّجوع إلى المصادر والمراجع ذات العلاقة بالمادة.

- أثناء غياب الكتاب المدرسيّ لا يستطيع المعلّم أن يخطّط لتوصيل المادة الدّراسية للمتعلّمين إذ قد يحدث خلل في سير الدّرس.

- للكتاب المدرسيّ قيمة كبيرة في عمليات المراجعة والتّطبيق والتّلخيص.

- إنّ الكتاب المدرسيّ الذي يحقّق الأهداف العامة والخاصة للعمليّة التّربوية يجب أن يأخذ في الحسبان مستويات التّفكير عند المتعلّمين وحسب مراحل سنّهم وذلك وفق تصنيف "بلوم"، وهذا الأخير يشبهها بهرم سماه بهرم المستويات المعرفية وهي: التذكر والاستيعاب والتطبيق والتحليل والتركيب.

والجدير بالذكر أن عملية تأليف الكتاب المدرسيّ هي عمليّة شاقّة يشترك فيها ذوو الاختصاص المطلوب سواء أكان اختصاصًا علميًا أو أدبيًا إلى جانب ذوي الاختصاص التّربوي والنّفسي وأنّ يخضع بعد تأليفه للتّقييم والتّقويم النّهائي من طرف لجنة مختصة، لكي يكون محقّقا لأهدافه العامة والخاصة ومرتبطا بالمنهاج والفلسفة العامة للعمليّة التّربويّة والتّعليمية، ومن الضّروري أيضًا إجراء دراسات ميدانيّة باستمرار حول الكتب المدرسيّة في مراحل الدّراسات العليا، وتأكيد هذا الجانب الحيوي المهم في حياتنا العمليّة والتّطبيقية.

كما يضطلع الكتاب المدرسيّ بأهميّة كبيرة في الوسط التّربوي، إذ يعتبر أحد أركان العمليّة التّربوية الأساسية وهو يتطلّب أكثر من أيّة أداة أو وسيلة تعليمية أخرى جهود

مميّزة من قبل مجموعة كبيرة من الاختصاصيين والفنّيين وخبراء في الإخراج والطّباعة، وتأتي أهميّة هذا السّند التّربوي في تفريد التّعليم، فالطّلاب يتباينون في سرعة قراءتهم وذلك وفق قدراتهم وبواسطة الكتاب يستطيع المتعلّم أن يقرأ مادة موضوع الدّرس بصورة انفرادية وبحسب قدرته العلميّة، كما يقوم الكتاب بتنظيم التّعليم وذلك لاحتوائه على خبرات تعليميّة وأنشطة وأسئلة تساعد على تلقيّ المادة العلميّة بصورة منتظمة بالإضافة إلى تحسينه للعمليّة التّعليمية وذلك لظهور أدلّة مخصّصة للمعلّمين تتضمّن كيفية التّعامل مع الكتاب المدرسيّ.لكن كيف يستفاد من الكتاب المدرسي؟.

ويتّضح ممّا سبق من أوجه وأساليب استخدام الكتاب المدرسي سواء أكان من جانب المعلّم أم المتعلّمين يجب أن ينصّ عليها صراحة في كرّاس تحضير الدّروس وفي كل عنصر من عناصر الدّرس، بما يظهر أهميّة الكتاب المدرسي بالنّسبة للمتعلّمين كأحد مصادر التّعلم وليس المصدر الوحيد وأنّ البيئة المحيطة بالمتعلّم تعد أكبر مصدر للتّعلم وعليه استخدام عقله وقدراته في دراستها بما يحقّق أهداف المنهاج ويدرك العلاقة الوثيقة بين المنهاج والكتاب التّعليمي.

وعليه يمكننا القول بأنّ الكتاب المدرسي له وظيفة جوهرية حيث أنّه ذو صلة وثيقة بالمنهاج التّعليمي من حيث كونه الأساس الجامع للفرص التعلميّة التي ينبغي على المتعلّم بمساعدة المعلّم أن يتعرّض لها فيأخذ منها ويضيف إلى ذات نفسه ويبني شخصيته فيكبر علما ومعرفة.

ويمكننا حصر ضرورات الكتاب المدرسي للموقف التّعليمي فيما يلي:

أ- الكتاب المدرسي يعد معلما تعليميًا يضمّ بين دفّتيه المحدّدات العلميّة والمعرفيّة اللازمة لكل من المعلّم والمتعلّم في إطار منهاج دراسي، ومن ثم يساعد المعلم على أن يكيّف ذلك المنهاج وبالكيفية المقبولة، وأن يخطّط لموقفه التّدريسي سلفا ممّا يساعده على اجتياز صعوباته والتّعامل مع المتعلّمين بنجاح طبقًا لظروفه وظروفهم والزّمن المحدّد وإمكاناته وإمكاناتهم.

ب- الكتاب المدرسي يعد مرجع القياس بالنّسبة لكلّ من المعلّم والمتعلّم بمعنى أنّه يتضمّن تحديد الحقائق والمعارف والمعلومات والنّظريات المرغوب في دراستها بما يجعلها مناط الحكم التّقويمي للمعلّم على المتعلّم.

ج- الكتاب المدرسيّ يُجسّد لفكرة كثيرا ما نجهلها وهي أن الميادين المعرفيّة في واقعها لا تخرج عن كونها مجالات للتّطبيق اللّغوي، والكتاب المدرسي هو أفضل ما يقوم بالتّدريب على المهارات اللّغوية المختلفة وخاصة مهارات القراءة، ولا ينبغي للوسائل التعليميّة الحديثة من أفلام وصور متحركة أو صور ثابتة أو تسجيلات أو شرائح أو نماذج... أن تطغى على دور الكتاب المدرسي في عملية التّعليم الذي يعتبر ركنا من أركانها وليس مجرّد وسيلة من الوسائل المعيّنة عليها في هذا العصر الذي يوصف بأنّه عصر الانفجار المعلوماتي وانتشار التعليم لأن الكلمة المطبوعة أشدّ تأثيرا وأبلغ أثرا في نفس المتعلم.

فالكتاب التعليمي أداة رئيسيّة في العملية التعليمية، وهو أداة سهلة التّناول ولا تقارن بأي وسيلة من الوسائل التّعليمية الأخرى فهو يبقى مع المتعلّم في كل زمان ومكان، ويرجع إليه متى شاء لاسترجاع الدّروس وكلما احتاج إلى ذلك، كما أنّ استعماله لا يتطلب بذل جهد أو عناء ولا يحتاج إلى تدريب خاص على استعماله أو تجهيزات معيّنة كالتلفزيون التّعليمي أو أشرطة الفيديو أو أجهزة الحاسوب أو...

ثالثا: آليات صناعة الكتاب المدرسي.

ونظرا لأنّ الكتاب التّعليمي يؤدي دورا تعليميًا وتعلميًا أساسيًا في تربية النّشء فإنّه ينبغي أن يصمّم بعناية فائقة من حيث اختيار مكوناته وتنظيم خبراته التّعليمية وإنتاجه شكلا ومضمونا، بما يتماشى والأسس المعرفيّة والنفسيّة والتّربويّة والفنيّة والتّقنية والمعلوماتية ليكون أداة تعليميّة فاعلة تسهّل على الدارسين عملية التعلم وتسهم في تحقيق الأهداف التربوية الموجهة لبناء الإنسان المتكيف مع المستجدات، والذي يؤدي دورا اجتماعيا متميزا ليسهم في بناء الوطن ويتفاعل مع الآخرين ويحترم كل الحضارات الإنسانية[7].

يمثل الكتاب التّعليميّ ترجمة صادقة للمنهاج التّربوي، الذي ينطلق من فلسفة التّربية والتّعليم والأهداف التّربوية الكبرى في المجتمع ويتحقّق هذا الغرض في اختيار محتوى المادة التّعليمية وطرائق عرضها وتنظيمها، وتوظيفها للكفايات التّعليمية والتّدريبية المختلفة المتمثّلة في طرائق التّدريس والتّواصل الثّقافي ونقل الخبرات التعليمية وعمليات التقويم والتطور التي تسعى لنجاح العمليّة التّعليميّة التّعلميّة وسلامتها.

لهذا فالتّصميم التّربوي المتميّز للكتاب المدرسي الفاعل يقوم على أساس اختيار أفضل البدائل المكوّنة لبنيته، من وسط البدائل المتاحة، ولتحقيق ذلك، يشترط أن يراعى إدخال العناصر الأساسية المكوّنة له، والتّنظيمات الرّابطة والخصائص المطلوبة في بنية الكتاب التّعليمي ليأتي في سياق الطّموحات والأهداف التّربوية المقصودة منه بصفته يمثّل أحد العناصر المهمّة في مدخلات النّظام التربوي[8]، لهذا يجب التركيز على الشكل والمضمون وبنفس درجة الاهتمام خلال صناعة وتصميم الكتاب المدرسي قصد الحصول على قبول حسن من قبل المتعلم لاسيما وأن هذا الأخير يستعمل داخل المدرسة وخارجه وهو ملاذه في كل مكان وزمان، وفيما يلي بيان لتفاصيل عناصر التّصميم للكتاب التعليمي:

I- المضمون:

1- مقدمة الكتاب المدرسي: ينبغي أن تُصمم وفق الأسس والخصائص المنهجيّة الآتية:

- توجه صيغة الخطاب فيها إلى المعلّم والمتعلّم الأوّل ليوظّفها في استخدامه للكتاب وتعليمه والثّاني ليستفيد منها في تعلّمه.

- إعلام المتعلّم بالأهداف التعلمية المتمثّلة بالكفاءات المعرفيّة أو الأدائية المقصودة من تعلّم المادة التّعليمية للمقرّر الدّراسي أو المنهاج التّعليمي والكتاب المدرسي.

- تقدم بعض الإرشادات والإجراءات، التي ينبغي أن يقوم بها المعلّم من أجل استخدام الكتاب المدرسي استخداما تربويًا.

- التّعريف بمضمون الكتاب التّعليمي وبما يشتمل عليه من وحدات أو موضوعات تعليميّة، وكذلك بالأسس المنطقيّة التي روعيت في ترتيبها وبالقيمة المنهجية لكل وحدة في الإطار الزّمني المقرر لتعليم الكتاب المدرسي.

- تشير إلى المعلّم أو المتعلّم خاصة بأنّ الخبرات التّعليمية الواردة في الكتاب هي الحد الأدنى للمتعلّم وأنّ المادة التّعليمية في الكتب مفتوحة النّهاية وقابلة للإثراء من مصادر تعليمية أخرى بصورة مستمرة[9].

2- الأهداف التعلمية: ينبغي أن يشتمل الكتاب التعليمي على الأهداف التعلمية المقصودة من الكتاب كله، وكذلك على الأهداف التعلمية الخاصة بكل وحدة أو موضوع

من مكوناته، فالأهداف التعلمية العامة تكون واردة في المقدّمة، أما الخاصة بكل وحدة فيشترط أن ترد في مقدّمة كل وحدة وينبغي أن تتّصف بما يلي:

- أن تتسق الأهداف الخاصة بكل وحدة من وحدات الكتاب مع الأهداف العامة الواردة في مقدمة الكتاب.

- أن تتلاءم الأهداف الخاصة بالوحدة مع مضمون الخبرات التعلمية الواردة فيها كمًا ونوعًا، وهذا يعني اختيار المحتوى التّعليمي بدلالة أهدافه بناء على تحليل علمي مسبق للأهداف يوضّح الطّريقة لاختيار المحتوى التعلمي لتغطية الأهداف رأسيًا وأفقيًا.

- أن تصاغ الأهداف التعليمية صياغة سلوكية تدور حول المتعلّم نفسه، وأن تكون الصياغة واضحة محدّدة وقابلة للملاحظة والقياس والتّقويم.

- أن يراعى عند وضع الأهداف السّلوكية للوحدة مجموعة من النّقاط كأن تشمل في مجملها على نتاجات تعلمية تتّصل بالمجالات النّمائية الثلاثة لشخصية المتعلّم، المجال المعرفي الإدراكي والمجال الوجداني الانفعالي والمجال النّفسي الحركي الأدائي وأن تكون قابلة للتّحقيق أيضا[10].

3- المحتوى – الخبرات التعلميّة للكتاب:

تمثّل المادة التعليميّة وتصميم الخبرات التعلميّة للكتاب التّعليمي جزء هامًا في الفعل التّعليمي التّعلمي، فالخبرات التعلميّة أو المحتوى التعلمي عبارة عن جملة من الحقائق أو المعلومات والمفاهيم والمبادئ والتعميمات والأفكار والمهارات الأدائية والعقلية فضلا عن الاتّجاهات والقيم التي تختار المادة التّعليميّة للكتاب وفقها والتي يراد من المتعلّم اكتسابها واستيعابها ليتمثّلها في بناه العقليّة والوجدانيّة والأدائيّة[11]، ولكي يأتي المحتوى التعليمي الوارد في الكتاب متلائمًا ومتوافقًا مع فلسفة التّربية والتّعليم وأهداف النّظام التّربوي العامة ينبغي أن يراعى في تصميمه واختياره وترتيبه ما يلي:

3-1- المقاييس العامة في انتقاء المحتويات التعليميّة:

يتّفق الأخصّائيون في تعليميّة اللّغات على فكرة مفادها هو أنّ كل طريقة في تعليم لغة من اللّغات، وكل نشاط تربوي يقومان على أساس انتقاء محكم ودقيق لمجموعة من العناصر كأول خطوة رئيسية، ويعتبر هذا العمل ضروريًا كما أشار إليه "**Mackey**" بقوله: «لما كان يستحيل تعليم مجموع عناصر اللّغة فإنّه يستوجب على كل الطّرائق بكيفية أو بأخرى، بقصد أو عن غير قصد انتقاء الحصّة من اللّغة التي تنوي تعليمها».

كما أفادت نتائج الدراسات النّفسية والتّربوية ميدان تعليميّة اللّغات في وضع جملة من المقاييس العلميّة الواجب اتباعها عند القيام بانتقاء العناصر التعليمية، بربط ذلك مباشرة بشخص المتعلم[12]، ومن جملة هذه المقاييس نذكر:

أ- مراعاة حاجيات المتعلّم اللّغوية، فالأخذ بهذا المقياس مرتبط بأعمار المتعلّمين ومستواهم التّحصيلي الذي يكونون فيه، بحيث يكون ذلك كمنطلق في البحث والكشف عمّا هم بحاجة إليه فعلا لممارسة اللغة على أكمل وجه هذا من جهة.

ب- ومن جهة أخرى مراعاة قدراته الذّهنية وميزاته المرتبطة بدرجات استيعابه وتقبّله لكل العناصر التي تكون مبرمجة، كما أنّ هناك علاقة وطيدة بين كمية المحتويات التعليميّة التي تخصّص للمتعلّم كحاجيات، وبين جوانبه الذّاتية النّفسية والذّهنية عنده[13]، ولقد أبرز الدكتور الأستاذ البروفيسور"**عبد الرحمن الحاج صالح**" مثل هذه العلاقة بقوله: «ليس كل ما في اللّغة من الألفاظ والتّراكيب وما تدل عليه من المعاني يلائم الطفل أو المراهق في طور معين من أطوار ارتقائه ونموه»[14]، وأضاف أيضا: «لا يمكن للمتعلّم أن يتجاوز أثناء دراسته للّغة في مرحلة معيّنة حدًا أقصى من المفردات والتّراكيب بل وفي كل درس من الدّروس التي يتلقاها ينبغي أن يكتفي فيه بكمية معيّنة وإلا أصابته تخمة ذاكرية بل حصر عقلي خطير قد يمنعه من مواصلة دراسته للّغة»[15].

كما ينبغي أيضًا ربط المادة التّعليمية الواردة في الكتاب بالواقع العربي والواقع الوطني من أجل توظيفها في البيئة المحلية قدر الإمكان لكي تكون صادقة اجتماعيًا، إضافة إلى تكامل مضامينها مع مضامين المواد التعليميّة الواردة في الكتب المدرسية الأخرى في إطار الخطة الدّراسية للبرنامج الواحد، بما يتلاءم مع تنظيم المنهج اللولبي الذي يتسع أفقيًا ورأسيًا، وعلاوة على هذا ينبغي أن يتم اختيار كميّة المادة التعليميّة ونوعيتها للكتاب التّعليمي في إطار الزّمن المقرّر للمنهاج التّربوي حتى يتمكّن المعلم من تنفيذ تدريس الكتاب التّعليمي في الوقت المحدّد[16].

3-2- معايير تنظيم المادة التّعليمية:

يُشكل تنظيم المادة التّعليميّة، أحد المبادئ الأساسيّة في تعلّم المادة وفهمها وتمثلها، لذا ينبغي أن تنظّم على ضوء الخصائص المنطقيّة لبنية المادة، وسياق تعليمها من السّهل إلى الصّعب ومن البسيط إلى المركب ومن المعلوم إلى المجهول ومن المحسوس إلى

المجرّد ومن الجزء إلى الكل مما يسهّل اكتساب المادة وفهمها[17]، هذا عن المحتوى التّعليمي عموما، أما المحتوى النّحوي وتنظيمه فهو في غاية الأهمية حيث يتم تنظيم وحداته التي يتكوّن منها وفق ما يعرف بـ **"التدرّج-Progression"** وهي عملية يتم فيها ربط الخبرات السّابقة باللاحقة لذا ينبغي في عملية انتقاء المحتوى النّحوي وتنظيمه أن ننطلق من الفرضية القائلة «اللّغة أيّة لغة ليست عبارة عن لائحة من الكلمات والتّراكيب، وإنّما هي ضوابط وقوانين ومتون تأتلف جميعا لتُكوّن النسق العام للغة»، وعليه فالتّدرج هو الأنسب في تنظيم وترتيب المادة النّحوية لأنه يراعي مستوى المتعلم ويستجيب لمختلف حاجياته إضافة إلى انسجامه وأحوال الخطاب التي يتطلّبها الاستعمال الفعلي للّغة، فلا تقدم البنى والأنساق اللّغوية للمتعلّم إلا من خلال سياقات استعمالها في شتى ملابسات الخطاب[18].

3-3- معايير عرض المادة التّعليميّة:

يشكل عرض المادة التّعليمية في الكتاب عنصرًا أساسيًا من عناصر تصميمه، وحتى يكون العرض في سياق التّعلم الجيّد ينبغي أن يتّصف بالمعايير التّالية:

- أن تعرض المادة التّعليمية بصورة تجمع بين التّوازن الكميّ والنّوعي وتحقق تعلما فاعلا وبطريقة تجمع بين الأفكار النظرية والممارسات العملية.

- أن تكتب المادة بلغة عربيّة فصيحة وواضحة وأسلوب بعيد عن التّعقيد يسهل على المتعلّم عمليّة التّفاعل والتّواصل مع المادة التّعليمية، كما ينبغي أن تشتمل على شروح لكل المصطلحات العلميّة والفنّية غير الشائعة الواردة فيها.

- أن توثق مضامين المادة التّعليمية بثبت المراجع والمصادر التي استند إليها مؤلفو ومعدّو مادة الكتاب المدرسيّ لتسهيل عملية التّعلم على المتعلّم، والعودة إليها كلّما استدعي الأمر ذلك، للحصول على المزيد من الشّروحات والاستفسارات واستيعاب الأفكار والمفاهيم المطروحة[19].

3-4- معايير تصميم التّقويم في الكتاب المدرسي: يُعدّ التّقويم أحد العناصر الأساسيّة في تصميم الكتاب التّعليمي وحتى يكون التّقويم فاعلا أثناء تعلم مضمون للكتاب من قبل المتعلّمين، ينبغي أن يتم اختياره وفق المعايير الآتية:

- أن تتم مجمل إجراءات التّقويم والتّقدير التي يقوم بها المتعلّم "تقويم ذاتي" أو المعلّم بدلالة الأهداف التّعليمية والكفاءات المقصودة من المقرّر الدّراسي والمنهاج التّربوي.

- أن يستخدم لتقويم نتاجات التعلم عند المتعلمين مختلف أنواع وأساليب التقويم المتمثلة في الاختبارات المقالية والموضوعية والأدائية والتقارير وأسئلة التقويم الذاتي.

- أن يزوّد التّقويم عمليّة التّعلم بالتغذية الرّاجعة في الوقت المناسب ودون تأخير بهدف خلق دافعية عند المتعلّم وتحفيزه على تعديل سلوكه باتّجاه اكتساب الأهداف الموجودة في المادة التعليمية[20].

ويتّضح مما سبق مدى قيمة وضرورة الالتزام بمثل تلك المقاييس والمعايير في الاختيار والانتقاء والتنظيم والترتيب لعناصر المادة التعليمية، لأنّها – المادة التّعليمية – تشكّل عنصرًا هاما من عناصر المنهاج التربوي.

II- الشكل:

إن شكل الكتاب المدرسي يتعلّق بحجم الحروف ونوع الورق والطباعة والإخراج وكذلك استخدام الألوان في كتابة العناوين الجانبية والرئيسية، والاهتمام بالغلاف للكتاب إذ يشكل إخراج الكتاب التّعليمي وإنتاجه، عاملا مهمًا في إثارة انتباه المتعلّم وشدّ اهتمامه للمادة التّعليمية، "فالكتاب الذي يتميز بحسن الإخراج يدفع التلاميذ إلى الإقبال عليه، ومطالعته، والمحافظة عليه"[21].

لذا فالمواصفات الفنية والإخراج الجيد عنصران هامان في صناعة الكتاب المدرسي،... فالغلاف المناسب يشوق المتعلم لتصفح الكتاب والطباعة الواضحة تريح نظر المتعلم عند مطالعته وقراءته[22]، وعليه « يشكل إخراج الكتاب التعليمي وإنتاجه عاملا مهما في إثارة انتباه المتعلم من خلال المؤشرات الحسية والبصرية، المتصلة بالرسوم والأشكال والخط والألوان، والصور والجداول والرموز، وغير ذلك من أمور، تمثل دورا في لفت انتباه المتعلم وشد اهتمامه للمادة التعليمية»[23].

وفيما يخصّ الرّسومات والصّور والأشكال التّوضيحية التي ترد في الكتاب يشترط أن تكون واضحة وجذّابة ووظيفية أي تكون وثيقة الصّلة بالموضوع وتسهل فهمه واستيعابه وتثير الدّافعية عند جمهور المتعلّمين وأن توضع في مكان مناسب وملائم لها داخل الكتاب وألا تزيد عن **30%** من مساحة الكتاب[24].

كما ينبغي أن يطبع عنوان الكتاب واسم المؤلف بخط جميل في مكان مناسب على الصفحة الخارجيّة من الغلاف، ويتكرّر أيضًا مع اسم الدّار التي نشرته وكذا تاريخ ومكان النّشر على الصفحة الأولى الدّاخلية من الكتاب، والصّفحة الثانية يدوّن فيها كل المعلومات التي تتعلق بالنّشر وعنوان النّاشر، ورقم تصنيف الكتاب و...الخ، ويشترط أيضا في الكتاب المدرسيّ تنظيم محتوياته في قائمة تفصيلية مع ذكر أرقام الصّفحات ويستحسن أن توضع في بداية الكتاب المدرسي بقائمة المراجع والمصادر –موثّقة- التي استخدمها المؤلّفون في كتابة المادة التّعليمية وقائمة توضّح معاني أبرز المفاهيم والمصطلحات التي اشتملت عليها المادة التّعليميّة وأخيرًا قائمة للتّصويبات إذا وردت في الكتاب أخطاء لغويّة أو مطبعيّة، وذلك بوضع ملحق في آخر الكتاب على أن يقوم المعلّم في الحصة الأولى بإعلام المتعلّمين لإدخالها على واقع الصّفحات بهدف قراءتها بصورة سليمة عند دراسة الموضوعات فيما بعد[25].

رابعا: طرق تقييم الكتاب المدرسيّ ومصادرها وأدواتها

الكتاب المدرسي كما رأينا سابقًا هو جزء من نظام تربويّ عمليّ كليّ وعمليّة اجتماعيّة رسميّة عامة هي التّربية المدرسيّة، فالكتاب المدرسيّ أداة تربويّة يصوغها المجتمع حسب أهدافه وإمكانياته المحليّة لاستخدامها من النّاشئة بهدف تحقيق أغراض وطنيّة وسياسيّة واقتصاديّة وثقافيّة وإنسانيّة وحضاريّة وإبداعيّة، فالكتاب المدرسيّ لم يوجد من فراغ، كما أنّه لا يعمل بعيدًا عن العوامل الأخرى للتّربية والمجتمع، كما أنّ البيئات تتأثر بأهداف ومتطلّبات تطبيق الكتاب المدرسيّ كما تؤثر بدورها في محتواه وإدارته ونتائجه، أي بينما يخدم الكتاب المدرسي كعامل مؤثّر على الفرد والتّربية والمجتمع فإنّه من ناحية أخرى يخضع للتّقييم والنّقد ويتطور نتيجة لهذه العوامل أو يكون متغيرًا تابعًا أو متأثرًا بها.

كما أنّ صلاحيّة الكتاب المدرسي هي امتثاله لخصائص المتعلّمين وحاجاتهم للتّعلم ولخصائص المعلّمين والإداريّين وكذا الأسرة في تربية الأبناء، ويشار إلى هذه الصلاحية بصلاحية المحتوى، والصلاحية الفنيّة للكتاب المدرسي بالإضافة إلى صلاحية التّطبيق في المجالات المتوفّرة في البيئة المحليّة، وذلك للحكم النّهائي على فعاليّة الكتاب المدرسي.

وتتلخصّ الطّريقة العلميّة الممكنة لتقييم الكتاب المدرسي في الأسئلة التالية: ما هو الكتاب المدرسي الذي يراد تقييمه من حيث المحتوى والشكل الفني ومتطلبات التّطبيق

والنتائج وهل هو مقبول اجتماعيًا وتربويًا؟ وهل قابل للتّعلم من قبل المتعلّمين؟ وهل هو فعّال تحصيليًا؟.

والذي نريد تأكيده هو أنّ الكتاب المدرسيّ عندما يعرض للتّوزين والمحاكمة التّربوية تؤخذ بعين الاعتبار كافّة العوامل المؤثّرة فيه والمتأثرة به، بدء بصناعته علميًا وفنّيا إلى تطبيقه ميدانيًا وانتهاء بقياس نتائجه التّحصيليّة أو ما يعرف بالفعّالية التّربوية، كما أنّ تقييم الكتاب المدرسي بدون هذه الشّمولية لن يوصل المختصين إلى نتائج واقعيّة حيويّة يستطيعون بها الحكم على قيمة أو صلاحية الكتاب المدرسي ومن ثم اتّخاذ القرارات المناسبة لتحسينه أو تطويره أو تغييره علميًا أو فنيًا أو ميدانيًا[26]، لكن ما هي مصادر تقييم الكتاب المدرسي؟ وما هي وسائل وأدوات تقييمه؟.

أ- مصادر تقييم الكتاب المدرسي:

يستمدّ مختصّو التّقييم بياناتهم المطلوبة من كل العمليات والظّواهر المرتبطة بصناعة أو تطبيق أو نتاج الكتاب المدرسي، وذلك حسب التّركيز أو الهدف الذي سيحقّقه التّقييم في دراسته ويمكننا تلخيص مختلف المصادر التي يمكن جمع البيانات التّقييمية منها كما يلي:

1-تحصيل المتعلّمين الفوري والبعيد المدى والمقصود وغير المقصود وما يعود التّحصيل على المتعلّمين من مواصفات وميول وسلوكيات شخصيّة جديدة.

2- المتعلّمون بواسطة المقابلات واستشفاف أراءهم حول محتوى الكتاب المدرسي ومواده ومحتواه التعليمي وأنشطة التّعلم وحماس المتعلّمين واستجابة الكتاب لحاجاتهم العامة ومجتمعهم وأساليب تدريسهم وخصائصهم الشخصية والوظيفية.

3- الخبراء الذين تُسند لهم مهام صناعة وتطبيق الكتاب المدرسي وعمليات تقييمه.

4- أولياء أمور المتعلّمين والمهتمون من المجتمع المحليّ.

5- وثيقة الكتاب المدرسي نفسه.

6- الوقت المتوفّر للتّطبيق مدرسيًا.

7- المواد والآلات والأجهزة والنّفقات والتّسهيلات والخدمات المساعدة المستخدمة كالكتب المساعدة للكتاب المدرسي والمواد والأفلام والشّرائح والدّوريات وغيرها من وسائل وتكنولوجيات التّعلم والتّعليم، كما يركز مختص التّقييم في دراسته لهذه العوامل على مدى وكيفيّة استخدامها في تطبيق الكتاب المدرسي[27].

ب- وسائل وأدوات تقييم الكتاب المدرسي:

عند تقييم الكتاب المدرسيّ، يُراعَى استخدام الأداة المناسبة لغرض التّقييم ومجاله وماهيته، وإذا وُجد بأنّ أداةً أو نموذجًا واحدًا لا يكفي لتوفير البيانات المطلوبة عندئذ ينصح باستخدام أكثر من أداة واحدة أو تعديل ما هو كائن ومتوفر لخلق أداة جديدة قادرة أكثر على جمع البيانات والمعلومات المطلوبة، ولكي تكون وسائل وأدوات تقييم الكتاب المدرسي مجدية وفعّالة في جمعها للبيانات ينبغي أن يتوفر فيها ما يلي:

- مناسبتها للأهداف ومواضيع التّقييم التي ستجري دراستها.
- فعّاليتها في جمع المعلومات المطلوبة.
- أن تكون عمليّة، أي قابلة للتّطبيق في البيئات التّربوية المعنيّة بالتّقييم.
- توفّر الوقت والمصادر الكافية لإجراء وتنفيذ التّقييم بواسطتها.
- توفّر الخبرات المتخصّصة بتخطيط التّنفيذ والتّقييم.

أمّا عن أهم الأدوات والوسائل الخاصة بتقييم الكتاب المدرسي الممارسة في التّربية، فيمكننا أن نوجزها فيما يلي:

1- المقابلات الشّخصية للمتعلّمين والمعلّمين والإداريين والخدمات المساعدة وأولياء الأمور، والمهتمّين من المجتمع المحلي.

2- الملاحظة الميدانيّة المباشرة لتطبيق الكتاب المدرسي ويفيدنا هذا في:

* تحديد التّأثيرات الجانبية النّاتجة عن تطبيق الكتاب المدرسي.

* الحصول على معلومات موضوعيّة وواقعية عن مدى مناسبة تنفيذ الكتاب المدرسي في البيئات الصفية والمدرسية.

* توفير أحكام تقييمية حول مدى تمكّن المتعلّمين من بعض المهارات الأكاديمية العلميّة.

* الحصول على معلومات عن ميول المتعلّمين نحو الكتاب، ومدى انسجامهم معه- حضورهم للحصّص، انتظامهم، انتباههم، وتركيزهم مع المحتوى التّعليمي، مشاركتهم وقلّتها أو عدمها....

3- الحكم الفردي للمتخصّصين الأكاديميين والنّفسيين والمعلّمين وأعضاء مجلس الكتاب المدرسي.

4- انتاجات المتعلّمين: تحصيلهم، دفاترهم، سجلاتهم، مقالاتهم، تقاريرهم، تقارير المعلّمين لتحصيلهم واستجابتهم وردود فعلهم نحو الكتاب المدرسي.

5- الاختبارات التحصيليّة المتنوّعة والميول الشّخصية "مقياس الميول والتّفاعل الاجتماعي".

6- وصف التّغيرات الحاصلة في حياة المتعلّمين وسلوكهم خلال المراحل المتتابعة من تدريس الكتاب المدرسيّ لهم، وكذلك درجة التّعاون ونوعيته التي سادت خلال مراحل التّطبيق.

7- وسائل التّقدير العام مثل مناقشات هيئات تنفيذ الكتاب المدرسيّ غير الرّسمية ومناقشات المتعلّمين ومعلّميهم في الغرف الدراسيّة، وإنجاز المعلّمين وحماسهم وقبولهم للكتاب المدرسي، وآراء وانطباعات كل المهتمّين بالعمليّة التّعليمية، والمسح الاجتماعي حول الكتاب المدرسي والتّقييم العام له، ومدى المشاركة البنّاءة في الصّناعة المنهجية من عمال الكتاب المدرسي، ثم المشاركة البنّاءة في إدارة التّربية المنهجيّة من قبل أفراد المجتمع المدرسيّ والمشاريع البنّاءة في التّربية المنهجيّة من المتعلّمين.

8- تقصي البحث والدّراسات المتابعة لأثر تطبيق الكتاب المدرسي وذلك بعد الانتهاء منه والانتقال إلى كتاب مدرسي آخر أو مرحلة دراسيّة أخرى[28].

وهكذا بتطبيق هذه الوسائل والأدوات يقوم فريق المتخصّصين بدراسة الكتاب المدرسيّ للتّعرف على مدى صلاحيته وفعاليته التّربوية، حيث يجمعون بأنفسهم البيانات الخاصة بذلك ويبادرون بتفسيرها وبتحديد الصّعوبات أو المشاكل التي تعتري الكتاب المدرسي بتحديد واتّخاذ التّوصيات المناسبة لتحسينه، حيث يقومون أيضًا بإدخالها عليه بأنفسهم.

وينبغي القول هنا بأنّ تنظيم المحتوى التّعليمي للكتاب المدرسي وتوضيحه شكليًا، وكتابته بصيغ لغويّة منطقيّة واضحة وتنسيق معلوماته وإخراجه بأساليب جذّابة وطباعته بما يناسب من ورق وألوان وتغليف أو تجليد هي مسؤوليات هامة لشكل الكتاب ومقروئيته وقابلية تداوله بين المعلّمين والمتعلّمين والكوادر المدرسيّة الأخرى، فالمحتوى التّربوي مهما كان صالحًا أو متفوّقا يستلزم لقبوله النّفسي والإقبال على التّعامل به جودة ملحوظة في صناعته ومسحة جماليّة في شكله وألوانه وإخراجه العام، كما يتحكّم أيضًا في درجة الصّلاحية الفنّية للكتاب المدرسيّ مجالات وقرارات خاصة

باللّغة العربيّة والكتابة والرّسم والتّوضيح.. والتّنظيم والإخراج الدّاخلي للمحتوى والإخراج العام والطّباعة، وكل هذه المظاهر الفنّية يجب أخذها بعين الاعتبار أثناء عمليّة البحث والتّقييم والفحص لشكل وصناعة الكتاب المدرسي[29].

خامسا: الكتاب المدرسي وبيداغوجيا المقاربة بالكفاءات "بيداغوجيا الإدماج".

إنّ عمليّة التّجديد والتّطوير في مختلف الميادين هي مسألة طبيعيّة، بل أصبحت ضرورة تفرضها المستجدّات والتّحولات في المجتمعات، ويهدف كل تطور إلى تحقيق الفعّالية والسّعي نحو الأفضل في مختلف مجالات الحياة، وقطاع التّربية والتّعليم لأنّه مجال يُعنى ببناء الفرد النّاشئ الذي يعتبر الثّروة التي لا تنضب والرّكيزة الأساسيّة لكل تأسيس عقلاني وسليم لبناء مجتمع المعرفة الذي أصبح من سمات العصر الحالي[30].

في إطار تغيير المنظومة التّربويّة في الجزائر، واستجابة لمستجدات الراهن المعرفية والعلمية والتكنولوجية، تم إعداد وصناعة مناهج تعليميّة جزائريّة جديدة شكّلت المقاربة بالكفاءات روحها، وهو تصوّر جديد للعمليّة التّعليمية/التّعلمية، من أجل تفعيل الفعل التّربوي، بناء على منطق التّعلم الذي يولي أهميّة كبيرة لإدماج المعارف واكتساب الكفاءات، ما يمكن المتعلّم من تحقيق حاجاته من جهة والتّفاعل مع مجتمعه ومسايرة الانفجار المعرفي والتّكنولوجي من جهة أخرى، وفي هذا المقام ينبغي التّذكير بأنّ هذه المقاربة ليست إلغاءً لبيداغوجيا الأهداف، بل تطوير وتفعيل لها، انطلاقًا من منظور آخر للمنهاج "الكتاب المدرسي، الأنشطة، الوسائل التّعليمية، طرائق التّدريس، دور المعلّم والمتعلّم، أساليب التقويم..."، ومن منطلق التّغير هذا والتّطور، جاءت فكرة إحداث كتب مدرسيّة جديدة مع إحداث تغيير في أدوار الأطراف الفاعلة في العمليّة التّعليمية.

وإذا كانت بيداغوجيا الأهداف تعمل على تمكين المتعلّم من أن يقوم بفعل شيء ما والتّحكم في بعض الأداءات إلا أنّ الخلل فيها يتمثّل في الفصل بين محتويات المادة الواحدة وبين المادة والمواد الأخرى، مما لا يشكّل كلاً مدمجًا يسمح للمتعلّم بمواجهة وضعية فعلية والقدرة على الأداء، وعلى هذا الأساس واعتبارات أخرى كان لا بدّ من مقاربة جديدة "المقاربة بالكفاءات والمقاربة النّصية" تبنى على أساسها المناهج والكتب المدرسيّة "كتب اللغة العربية" من جهة وتصحيح المسار التّعليمي –التّعلمي وتطويره من جهة أخرى[31].

أمّا الكتاب المدرسيّ فقد ظلّ الاعتقاد سائدًا في الأوساط التّربوية على أن وظيفته ليست سوى مجرّد إيصال المعارف للمتعلّم وهو أيضًا مجرّد صياغة لمحتويات مواد على المتعلّم استيعابها بالذّاكرة أو التّحكم فيها، من خلال قيامه بمجموعة تمارين متشابهة، لكن البيداغوجيات الحديثة وخاصّة بيداغوجيا الإدماج ترى أن وظائف الكتاب المدرسي هي أعمق من ذلك بكثير، إذ أنّها وظائف قائمة ومبنيّة على أساس قيادة المتعلّم نحو تأسيس روابط بين مختلف المواد من ناحية وربط هذه المواد بخبراته وقيمه ومهاراته وواقع مجتمعه من ناحية أخرى، وهذه الوظائف المختلفة والمتكاملة في نفس الوقت ستساهم بدون شك في إدماج مختلف الكفاءات التي تم تحديدها في المنهاج ونلخص هذه الوظائف كما يلي:

أ- يعطي الكتاب المدرسيّ معنى للتّعلم: حيث يعكس الكتاب التّعليمي الواقع المعيش للمتعلّم، فعلى الرّغم من صعوبة ممارسة بعض الكفاءات في الوسط المدرسيّ، إلا أنّه يُعِدّ ويُهيأ المتعلّم للتّحكم فيها، ويسمح له باتّخاذ موقف ما حسب هذا الواقع إما بالتّحليل أو بإعطاء معنى أو التّوافق.

ب- وظائف ذات صلة بالتّعلم إذ يعمل الكتاب المدرسيّ على:

- تبليغ سلسلة من المعلومات.
- تطوير القدرات والكفاءات، واكتساب مواقف وطرائق وتقاليد العمل والحياة.
- تدعيم المكتسبات بواسطة التّمارين وأنشطة الإدماج والتّقييم التّكويني والتّحصيلي.
- تقييم المكتسبات، والتّأكّد من مدى تحكّم المتعلّم فيها وتشخيص الصّعوبات التي تعترضه واقتراح مسالك للتّعديل.

ج- وظائف ما بين الحياة اليوميّة والمهنيّة إذ يشكل أداة من حيث:

- المساعدة على إدماج المعارف ليتمكّن المتعلّم من استعمال مكتسباته في وضعيات مختلفة قد يواجهها خلال التّعلم.
- امتلاك المتعلّم لمرجعية معرفيّة، وبالتّالي موارد معلوماتيّة يعود إليها عند الحاجة.
- المشاركة في بناء المتعلّم اجتماعيًا وثقافيًا وذلك باكتسابه لسلوكات تؤهّله للتّواصل مع الآخر وإقامة علاقات معه ومع الحياة الاجتماعية عمومًا[32].

وعليه فعلى امتداد الوصلات التّعليمية – من منظور بيداغوجيا الإدماج - التي يتضمّنها الكتاب المدرسيّ، ينبغي أن تجعل المتعلّم يواجه وضعيات ملموسة وقريبة من واقعه اليومي المعيش، وذلك للتّصرف وفق ما تتطلّبه المواقف، وإذا كان الدّور الرّئيسي والجوهري للمدرسة هو إعداد وتكوين المتعلّم لمواجهة الحياة بكل قوة، فإنّ الكتاب المدرسيّ هو الأداة والوسيلة والسّند الذي يمكّن المتعلّم من التّحكم في مختلف الكفاءات التي تساعده على خوض غمار الحياة بروح مسؤولة وثقة في النّفس[33].

الخاتمة:

يشكل الكتاب المدرسي حلقة هامة ضمن منظومة التربية والتعليم، نظرا لما يتمتع به من مكانة هامة لدى جميع الفاعلين في حقل التربية والتعليم، ويعدّ الوجه الحقيقي لتطلعات المنهاج وصنّاعه، فهو يحمل بين دفتيه معارف ومضامين تسعى لصناعة متعلم يتماشى والتطورات الراهنة ومتطلبات العصر، لهذا يعدُّ مصدرا هاما من مصادر التعلم، وكذا مؤلفا تعليميا يصب في قلب اهتمامات المعلم والمتعلم والمنظومة التعليمية والمجتمع والأمة ككل، لهذا يشكل موضوع صناعته وتصميمه موضوعا حساسا، لما تتطلبه هذه العملية من شروط ومعايير ووسائل وأخصائيين في الميدان.

وبالرغم من مكانة وقوة الكتاب المدرسي الورقي مقارنة بالبدائل والوسائل التعليمية التكنولوجية الحديثة، إلا أنّنا نطالب بإدخال التكنولوجيا وظلالها على هذا السند التربوي الهام، بتدعيمه بوسائل تعليمية تكنولوجية حديثة، لكي يستمر في تأدية مهامه التعليمية والتربوية والبيداغوجية، وذلك من خلال المزج بين الكتاب التعليمي الورقي والكتاب التعليمي الرقمي، من خلال تقديم النسخة الإلكترونية إلى جانب النسخة الورقية للكتاب المدرسي ووضعها في متناول جمهور المعلمين والمتعلمين، وكذا إدخال هذه الوسائل التعليمية التكنولوجية الحديثة التي يفرضها عصر التكنولوجيا والرقمنة في عرض محتواه التعليمي وتدعيم طرائق التدريس وأساليب التقييم والتقويم من أجل زيادة دافعية المتعلم ودفعه للحراك التعلمي من جهة، واستجابة لمستجدات الراهن التربوي وثقافة المتعلم الحالي الرقمية والمعلوماتية.

كما يجب الأخذ بعين الاعتبار عملية تجديد وتطوير المحتويات التعليمية للكتب المدرسية وفي مختلف مواد التعليم ومراحله، بصفة دورية ومستمرة بغية مجاراة كل

مظاهر التطور والتبدل والتغير، والاستجابة لشروط صناعة وهندسة وإخراج الكتب المدرسية من أجل صناعة كتاب مدرسي يجمع بين اهتمامات المتعلم والروح الجزائرية ومتطلبات المعايير العالمية.

هوامش البحث:

[1] خديجة أصنامي، " كتاب اللغة العربية وعلاقته بالمعلم والمتعلم"، أعمال الملتقى الوطني حول الكتاب المدرسي في المنظومة التربوية الجزائرية: واقع وآفاق، الجزائر، نوفمبر 2007، ص287.

[2]François Marie Gérard et Xaviers Rogers, pédagogie de l'intégration Bruxelles, 2000, p85.

[3] محمد زياد حمدان، تقييم الكتاب المدرسي نحو إطار علمي للتقويم في التربية " نظرية قرار المجال"، سوريا، دار التربية الحديثة، 1997، ص07.

[4] إسماعيل إلمان، "الكتاب المدرسي"، مجلة المربي، العدد: 03، يناير-فبراير 2005، المركز الوطني للوثائق التربوية، الجزائر، ص 6-7.

[5] محمد زياد حمدان، تقييم الكتاب المدرسي، المرجع السابق، ص 09-10.

[6] إسماعيل إلمان، المرجع السابق، ص 07.

[7] محمد محمود الخوالدة، أسس بناء المناهج التّربوية وتصميم الكتاب التّعليميّ، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، 2004، ص 300-301.

[8] المرجع نفسه، ص 301-302.

[9] المرجع نفسه، ص 303-304.

[10] المرجع نفسه، ص 304-305.

[11] محمد محمود الخوالدة، المرجع السابق، ص 305-306.

[12] حمودي جميلة، طريقة تعليم قواعد اللغة العربية في المدرسة الأساسية الجزائرية، "رسالة ماجستير"، إشراف: خولة طالب الإبراهيمي، جامعة الجزائر، 1994، ص 63.

[13] المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[14] عبد الرحمن الحاج صالح، «أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي للغة العربية»، مجلة علم اللسان البشري، ع:4، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، 1973-1974، ص 44.

[15] المرجع نفسه، ص 45.

[16] محمد محمود الخوالدة، المرجع السابق، ص306-307.

[17] المرجع نفسه، ص307.

[18] عبد الكريم بن محمد، تعليمية النّحو في مرحلة التّعليم الثانوي العام أنموذجا دراسة تحليلية تقويمية، «رسالة ماجستير»، جامعة الجزائر، 2005، ص48-47 .

[19] محمد محمود الخوالدة، المرجع السابق، ص 309-311.

[20] المرجع نفسه، ص 311.

[21] عبير عليمات، تقويم وتطوير الكتب المدرسية للمرحلة الأساسية، الطبعة: 01، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2006، ص36.

[22] المرجع نفسه، ص43.

[23] محمد محمود الخوالدة، أسس بناء المناهج التّربوية وتصميم الكتاب التّعليميّ، ط2، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، 2007، ص322.

[24] محمد محمود الخوالدة، ط:01، المرجع السابق، ص 313-314.

[25] المرجع نفسه، ص314.

[26] محمد زياد حمدان، المرجع السابق، ص 21-27.

[27] المرجع نفسه، ص 89-90.

[28] المرجع نفسه، ص90-91.

[29] المرجع نفسه، ص55.

[30] فريد حاجي، "المقاربة بالكفاءات كبيداغوجيا إدماجيه"، سلسلة موعدك التربوي، العدد: 17، المركز الوطني للوثائق التربوية، الجزائر، 2005، ص 01.

[31] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[32] فريد حاجي، "الكتاب المدرسي وبيداغوجيا الإدماج"، مجلة المربي، العدد: 03، الجزائر، 2005، ص10.

[33] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.